٥ - المعانى الافلاطونية عند المعتزلة *

للاستاذ محمود الخضيرى
عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

عرف المسلمون أفلاطون منذ زمن مبكر ، وذلك بواسطة رجال الدين المسيحيين الذين كانت الفلسفة الدائمة بينهم هى المذهب الأفلاطونى الحديث . وكان تأثير هؤلاء الشيوخ المسيحيين فى الثقافة الاسلامية بالاتصال الشخصى والتعليم الشفوى ،ولاسيما فى دور الخلفاء والولاة حيث تولى كثير منهم مناصب مختلفة فى عهد الأمويين . وجاء بعد ذلك عصر الترجمة فنقل إلى العربية كثير من محاورات أفلاطون ورسائله ، وكذلك عدد لابأس به من الكتب المنسوبة إليه . ثم إنهم عرفوه أيضاً بواسطة مؤلفات أرسطو التى تحتوى على شروح نقدية لآراء أفلاطون ؛ وساعدهم على فهم تلك الشروح كثير من التعليقات على أرسطو التى نقلت أيضاً إلى العربية، وكان أكثر المعلقين من أنصار المذهب الأفلاطونى الحديث مثل سمبلسيوس Simplicius . ويجدر بنا أن نذكر من بين أصحاب التعليقات على أفلاطون من اليونان الذين نقلت مؤلفاتهم إلى العربية اسم ثيون Theon الأزميرى، الذى اشتهر بين المسلمين كتابه عن المعلومات الرياضية الضرورية لفهم أفلاطون . (١)

ونحن نبدأ — فى الكلام عن العصور الأولى التى عرف فيها المسلمون مذهب أفلاطون — بالوثائق الوضعية التى وصلت إلينا .

يرد اسم أفلاطون فى أعمال الكندى (المتوفى سنة ٨٧٣ أو ٨٧٤ م) فى مناسبات عدة تدل على معرفة الفيلسوف العربى بأعمال أفلاطون . قال فى كتابه عن العقل والمعقول De intellectu et intellecto مانترجمه عن النص اللاتينى : «فهمت ماتطلب إلى من أن أكتب إليك مقالا موجزاً عن العقل [والمعقول] على مذهب أفلاطون وأرسطو » (٢) وكذلك قال فى كتابه عن الحلم والرؤيا Liber de Somno et Visione . . . . « وأمامنا فى الحقيقة

(*) راجع «المعرفة» : أجزاء أغسطس وأكتوبر ونوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٣

(1) M. Steinschneider : Die arabischen Uebersetzungen aus dem Griechischen Zwolftes Beiheft Zum Centralblat für Bibliothekswesen, Leipzig1893 , § 8 «32» S . 16 — 17

وسنشير الى هذا المؤلف فيما بعد بقولنا . شتاينشنيدر : التراجم العربية من اليونانى

[2] A. Wagy : Die philosophischen Abhandlungen des Ja-qûb ben Ishaq Al - Kindi فى Baeumker : Beitraege zur Gesch . d . Philos . d . Mittelalters . B d H ; H t V, Münster 1897;

وسنشير الى هذا الكتاب بقولنا : تاجى ، رسائل الكندى . ص ١

ماقاله أفلاطون العظيم فيلسوف الاغريق وما شرحه وحكاه فيلسوفهم الأشهر أرسطوطاليس فى مقالاته الطبيعية ».[١] ويشرح الكندى فى مايلى ذلك مع — ذكره لاسم أفلاطون — رأيا جد أفلاطونى ، وهذه خاتمة شرحه : « وإذن فالاحساسات والادراكات العقلية شىء واحد ، إذ أنها من اختراعات النفس ؛ وإذن فهى جميعاً موجودة فى النفس ؛ ومن أجل هذا قال فلاطون إن النفس هى المحل لجميع المعارف الحسية والعقليه »[٢] ثم إن الكندى يقول أيضاً فى رسالته فى الأسماء الخمسة[٣] Liber de quineque فى مقاله عن المكان ماترجمته : « وآخرون قالوا ماهو المكان تبعاً لماقاله أفلاطون ».[٤]

وقد ذكر ابن النديم المتوفى سنة ٩٩٥ م كتاباً للكندى عنوانه « رسالة فى الابانة عن الأعداد التى ذكرها أفلاطون فى كتاب السياسة »[٥] كما ذكره أيضاً خمسة كتب عن سقراط.[٦]

وعلى كل حال فانه لم ينته القرن التاسع للميلاد حتى كانت اللغة العربية تشتمل على تراجم للجمهورية (= السياسة) والشرائع (= النواميس) والسوفسطائى (= سفسطس) وطيماوس وقد عرفه المسلمون خير معرفة .[٧] وكذلك عرفوا سائر المحاورات الأفلاطونية وبعض التعليقات عليها ، وكثيراً من الأعمال المنسوبة إليه وهى ليست من تأليفه.[٨]

ونحن نعيد هنا ماسبق لنا تقريره من أثر التعليم الشفوى فى تعريف المسلمين بالفكر الاغريقى . وإذن فليس من الحزم أن نقيس علم المسلمين بفلسفة اليونان وعلومهم بالتراجم العربية فقط ، أو أن نؤرخ اتصالهم بتلك الثقافة وفق تاريخ المترجمين الرسميين الذين عاشوا جميعا فى ظل الدولة العباسية ؛ وذلك لأننا نرجح ترجيحاً قوياً أن كثيراً من الكتب اليونانية قد نقل إلى العربية فى عصر الأمويين بفضل علماء مصريين . ويؤيد ذلك ماجاء فى تاريخ الطبرى (المتوفى سنة ٧٨٦ م) بمناسبة عام ٦٤ من الهجرة (= ٦٨٣ م) إذ قال مانصه :

---

١ — الكتاب المذكور : ص ١٨

٢ — الكتاب المذكور ص ١٩ — ٢٠

٣ — الترجمة الحرفية لعنوان اللاتينى هى « كتاب الذوات الخمس » واسكتنا اخترنا العنوان العربى على رواية ابن أصيبعة راجع مقدمة الاستاذ ناجى فى طبعته المذكورة لرسائل الكندى ص ٦ و ٧ (بالترقيم الرومانى).

٤ — ناجى : رسائل الكندى ص ٣٧ . وقد أضاف الاستاذ ألبينو ناجى فى مقدمته ص ٢٥ (من الترقيم الرومانى) فى هذه المناسبة (Timaeus) (طيماوس)

٥ — كتاب الفهرست : طبعة فليجل ص ٢٥٦ وانظر أيضاً : شتاينشنيدر ، التراجم العربية من اليونانى ، الفقرة ٩ (٣٣) ص ١٨

٦ — كتاب الفهرست : ص ٢٦٠ .

٧ — انظر شتاينشنيدر ، الكتاب المذكور ص ٢١

٨ راجع فيما يختص بالتراجم العربية لمحاورات أفلاطون كتاب اشتاينشنيدر المذكور ص ١٦ — ٢٩

«من أولاد يزيد بن معاوية، خالد بن يزيد، ويكنى أبا هاشم، وكان يقال إنه أصاب عمل الكيمياء» (١)

ومما يؤيد دعوانا بالأصل الاغريقى لكيمياء خالد بن يزيد ما كتبه ابن النديم: «كان خالد . . يسمى حكيم آل مروان ؛ وكان فاضلا فى نفسه وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى. وهذا أول نقل كان فى الاسلام من لغة إلى أخرى » (٢). وقد ترك خالد بن يزيد المتوفى (٨٥ — ٧٠٤ م) ثلاث رسائل تدل على اتصاله بالفكر الاغريقى . (٣) وقد ظلت هـذه الأقوال موضع شك كبير حتى جاء الأستاذ يوليوس روسكا Ruska ، إحدى حجة المعاصرين فى تاريخ العلوم عند المسلمين ، فأيدها بما اكتشفه من نصوص وكذلك بأبحاثه العميقة (٤) .

وإذن فليس القرن التاسع للميلاد هو مبدأ عصر الترجمة، وإنما هو قمة تلك الفترة المزدهرة من تاريخ المسلمين حيث اجتهدوا فيها فى طلب العلم باحثين عنه فى كل مصادره، ولاسيما فى الثقافة اليونانيـة . أى إن النتيجة التى أريد أن أنتهى إليها هى أن المسلمين عرفوا الفلسفة فى زمن سابق للمترجمين الرسميين الذين عاشوا فى ظل العباسيين وبقيت لنا آثارهم ، وذلك عن طريقين : الأول طريق التعليم الشفوى ، والثانى طريق الترجمة نفسها التى بدأت منذ أيام الأمويين، ولكن لم تصل إلينا وثائق وضعية عن هذه المحاولات . وهذا مايضطر عثورنا على معان فلسفية إغريقية وغير إغريقية عند شيوخ من المعتزلة عاشوا فى القرن الثامن للميلاد .

ومن المفيد أن نذكر فى تلك المناسبة ما كتبه الشيرازى (المتوفى سنة ١٦٤٠ م) بعد أن شرح قول المعتزلة فى أن المعدوم شىء ثابت . (وهـذا ماسندرسه بالتفصيل فيما بعد) : « قال [صاحب الاشراق فى كتاب المطارحات] وهؤلاء قوم نبغوا فى ملة الاسـلام ومالوا إلى الأمور العقلية ، وما كانت لهم أفكار سليمة ، ولا حصل لهم ماحصل للصوفية من الأمور الذوقية، ووقع بأيديهم مما نقله جماعة فى عهد بنى أمية من كتب قوم أساميهم تشبه أسامى الفلاسفة، فظن القوم أن كل اسم يونانى فهو فيلسوف، فوجدوا فيها كلمات استحسنوها وذهبوا إليها وفرعوها رغبة فى الفلسفة وانتشرت فى الأرض وهم فرحون بها »(٥)

وقد جرت العادة على أن لايسمى المعتزلة « فلاسفة » أو « حكماء » ، ويظهر أن السبب الذى منع المسلمين أن يطلقوا عليهم هذا اللقب هو أنهم لم يأخذوا بمجموع المعارف

١ — تاريخ الطبرى ج ٧ ص ١٦ طبعة بولاق

٢ — الفهرست ، طبعة فليجل ص ٣٤٢

٣ — بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ٦٧ . Brockelmann, Gesch. D arab. Litt 1 —

٤ — راجع لوصف تلك الابحاث مجلة Der Islam المجلد الثامن عشر (سنة ١٩٢٩) ص ١٧٦ — ١٨١ . والاستاذ روسكا نفسه فى المجلد عينه ص ٢٩٣ — ٢٩٩ .

٥ — صدر الدين الشيرازى : كتاب الاسفار الاربعة : مطبوع على الحجر فى طهران سنة ١٢٨٢ هـ ص ١٧ فى المنتصف . وانتهز هذه الفرصة لاشكر للاستاذ الفاضل لويس ماسنيون تكرمه باعارتى هذا الكتاب الا ندر

الفلسفية لليونان ؛ ونحن لا نعرف منهم من كان طبيباً كسائر « الفلاسفة » الإسلاميين ، وكذلك فان معرفتهم بالعلم اليونانى مقصورة على جانبه النظرى ، وغير منفصلة عن علم مابعد الطبيعة ؛ مثال ذلك أقوالهم فى الجوهر والمكان والزمان والحركة . ومع ذلك فان المسلمين لم يغفلوا ما بينهم وبين الفلسفة من صلات وثيقة ؛ ومثال ذلك أن أبا نواس الشاعر المشهور قال فى معاصره النظام أبياتاً تدل على ذلك ، وتكشف لنا فى الوقت نفسه عن عدم اطمئنان الشاعر إلى تشدد المعتزلة فى قولهم بالعدل . قال أبو نواس :

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو إن كنت امرءاً حرجاً فان حظرك بالدين إزراء (١)

وكذلك قال الشهرستانى عند شرحه لمذهب واصل بن عطاء فى الصفات الإلهية ، وميله إلى نفيها : « وكانت هذه المقالة فى بدئها غير نضيجة ، وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر ، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلاهين قديمين أزليين ، ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلاهين ، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلسفة »(٢). وكذلك نسب الأشعرى مذهب المعتزلة فى نفى الصفات إلى أصل فلسفى إذ قال : « وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة » (٣) ، كما ذهب إلى أن أبا الهزيل العلاف تأثر فى توحيده للذات الالهية بالصفات بقول أرسطو (٤) . ثم إن الشهرستانى يقرر أيضاً أن النظام قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وأنه خلط كلامهم بكلام المعتزلة (٥) . وقد اعتاد الشهرستانى على العموم أن يردف شرحه لمذاهب أهل الاعتزال بما معناه أنهم أخذوا مقالاتهم عن الفلاسفة أو يقتصر على الاشارة إلى علاقة مذهبية بين الفلسفة والاعتزال . وكذلك قال النسفى (المتوفى سنة ١٣١٠ م) إن المعتزلة « توغلوا فى علم الكلام وتشبثوا بأذيال الفلاسفة فى كثير من الأصول (٦) »

ويطول بنا المقام إذا أردنا الاكثار من شهادات المؤلفين الاسلاميين بالعلاقة بين الفلاسفة والمعتزلة ، فلنقتصر على ما أوردناه ، وسنشرح فى المقال الآتى الأسباب التى تدعو هؤلاء إلى الميل نحو الفلسفة الأفلاطونية ؟

[يا ...] محمود الخضيرى

(١) فى قطعة من كتاب الفهرست لم تنشر فى طبعة فليجل ونشرها الاستاذ هوتسما Houtsma فى مجلة فينا لمعرفة الشرق Genlandes Wiener Zeitschrift Für die Hunde des Mor المجلد الرابع فينا سنة ١٨٩٠ ص ٢٢٠

(٢) الملل والنحل ، طبعة خليفة ، ج ١ ص ٥٣
(٣) مقالات الاسلاميين ، ج ٢ ص ٤٨٣
(٤) نفس الكتاب ، ج ٢ ص ٤٨٥
(٥) الملل والنحل . ج ١ ص ٦٠ — ٦١
(٦) العقائد : طبعة استامبول ص ٨